المحاضرة الثامنة

النظريات الاولى في التاريخ

يقصد بمصطلح التعاقب الدوري هو ان التاريخ يسير في دورات متتالية ومتشابهة بحيث ان الاحداث السابقة تعود لتحدث بأشكال متقاربة كما تترتب عليها النتائج نفسها ، ويعتقد أصحاب هذه النظريات ان للتاريخ أو للحضارات ادواراً كأدوار الظواهر الكونية كالليل والنهار أو الفصول الاربعة فضلاً عن الادوار البيولوجية للإنسان ؛ اذ هي بحلقات متشابهة فكل بداية لابد لها نهاية وكل نهاية يعقبها تكرار للبداية الاولى وهكذا دواليك ، بمعنى ان التاريخ او الحضارات يسيرون في صيرورة وديمومة دائرية .

لقد وجهت عدة انتقادات لهذه النظريات الدورية ، لعل من أبرزها هي الإشارة الى ان هذه النظريات التعاقبية جامدة ومتحجرة ولا تأتي بجديد ، لأنها تتعامل مع حياة الانسان وكأنها ثابتة ونمطية وتكرر نفسها وهذا يعني الحكم بحتمية تاريخية ! وهو ما يخالف حقيقة الواقع المتغير والديناميكي للإنسان ولحياته .

تأتي نظرية الأطوار الثلاثة لأبن خلدون في مقدمة نظريات التعاقب الدوري في تفسير التاريخ وجاء بعده فيكو بنظريته العصور الثلاثة ، ومن ثم نظرية الفصول الأربعة لشبنكلر . وفيما يأتي تفصيل لهذه النظريات الثلاثة :

<u>نظرية الأطوار الثلاثة لأبن خلدون</u> :

فسر أبن خلدون حركة التاريخ على وفق تعاقب دوري ببعد بيولوجي ؛ فالدولة عنده تنمو وتتطور كالكائن الحي ، بنظام ثابت متعاقب في ثلاثة أطوار وهي كما يأتي :

١- <u>طور البداوة</u> : وهي المرحلة السابقة للتحضر حيث يعيش أفراد في البراري والجبال والسهول والصحاري ؛ فلا يخضعون للقوانين المدنية ، ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم وأعرافهم ويكون اجتماعهم من أجل الضروري من القوت ، وتتسم حياهم بالبساطة وتتميز بالتقشف وتحكمهم رابطة العصبية بنصرة ذوي الأرحام والأقارب ، وما يلزم عنها من تعاضد وتناصر والرياسة فيهم تكون على سائر البطون للقبيلة الأقوى عصبية ، وتبرز حاجتهم للعصبية

بشكل مستمر للدفاع والهجوم ، وبسبب ذلك تسود بينهم الأخلاقيات الفاضلة المتعلقة بالشرف والعزة والكرامة ومفاهيم الحرية ، كالدفاع عن النفس والنجدة والشهامة والغيرة على الاستقلال .

٢- طور التحضر : إذا صادفت قوة عصبية صاعدة لدولة مجاورة في دور التدهور والهرم ، فان العصبية القبلية الفتية تتحرك لتنتزع منها رئاستها وتحوله لنفسها فتحكمها ، أما اذا صادفت هذه القوة العصبية الفتية دولة عصبية في طور قوتها ونموها ؛ فإنها تعرض قوتها عليها لتنتظم وتتوحد معها ، وتساندها ضد أعدائها ، مقابل مشاركتها في النعم والخصب وهنا تبدأ هذه العصبية الفتية بالذوبان في التحضر وتذهب عنها خشونة البداوة . ويكثر الموالين لهم ، وتظهر على دولة العصبية القوية كما يذكر أبن خلدون آثار تلك القوة بالمباني العظيمة ، لكثرة الفعلة والصناع والايدي العاملة . وتتعدد الصنائع في لوازم الترف والحياة المتحضرة (المدنية) الناعمة والسهلة والبذخ في ايجاد وسائل التسلية .

٣- طور التدهور : تبدو عوامل التحضر هنا هي ذاتها عوامل وأسباب تدهور الدول والعصبيات ، وهو ما يتكشف لمنظار أبن خلدون ، ذلك إن الحضارة برأيه وأن كانت غاية العمران فهي في الوقت نفسه مؤذنة بنهاية عمره ، وأول هذه العوامل هي العصبية التي تتم بها الرياسة والملك ، اما الحضارة والترف فهي غاية العمران ونهايته فإذا تم للدولة كل ما تتطلع إليه من تحضر صاحب ذلك رفاهية واسترخاء فالترف هو أشد العوامل أثراً في أضعاف الدول وانهيارها . ويعزو أبن خلدون ذلك إلى أسباب اقتصادية واخلاقية ونفسية ؛ فيبدأ ظهور المرض المزمن الذي لا تكاد تتخلص منه إلا وهو الهرم الذي لا يكون لها معه برء إلى أن تنقرض . ويعبر أبن خلدون عن هذا الهرم أنه إذا كان : " طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث المور الطبيعية ، كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني ، والهرم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها " .

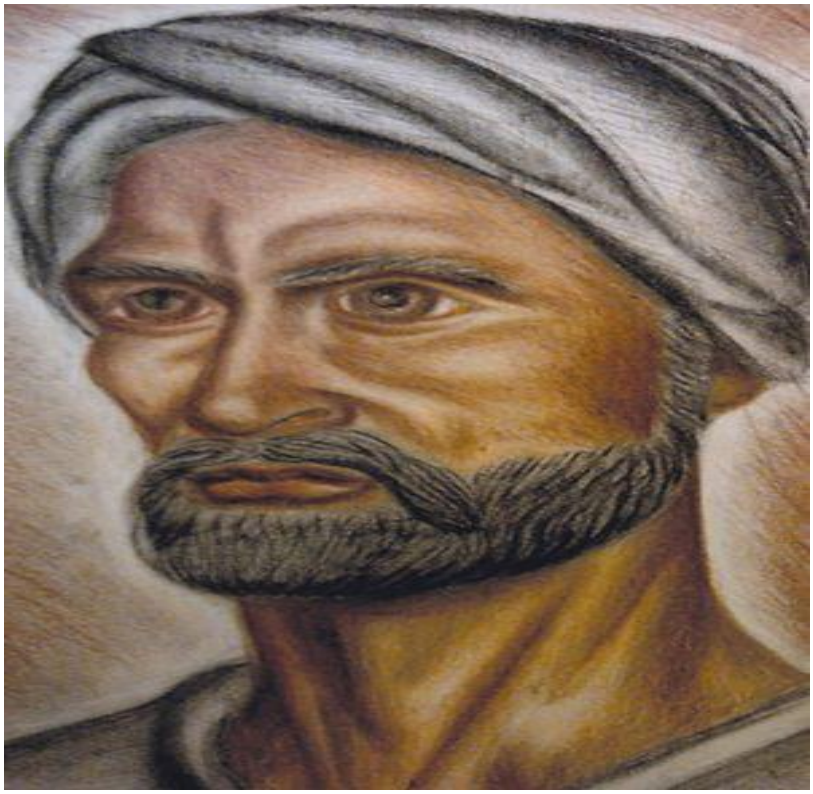

١- أبن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) :

هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي ، ولد في تونس وتوفي بمصر ودفن في شمال القاهرة ، وتخرج من جامعة الزيتونة ، ولي الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والاندلس ، فيما بعد أنتقل أبن خلدون الى مصر وتولى القضاء للسلطان برقوق وذلك قبل أن ينقطع الى التدريس والتأليف . وأشاد بها الكثير من الفلاسفة والمفكرين العالميين الذين تأثروا به وبعبقرتيه على مر التاريخ .

تعتبر " المقدمة " أشهر مؤلفاته وقد كتبها كمقدمة لكتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" . ويعد ابن خلدون مؤسس ما أصبح يعرف بـ " علم الاجتماع " والاقتصاد و " فلسفة التاريخ " .